آفـات اللسـان وخطـره

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن من جملة النعم التي امتن الله بها على عباده : اللسان والكلام ، فامتن عليهم بآلة الكلام وهي اللسان فقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠** ﴾ [البلد : ٨-١٠]. ولهذا امتن عليهم باللسان لأنه آلة الكلام ، وهو الفارق بين الأعجم الحيوان وبين الإنسان ، قال جل وعلا : ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤** ﴾ [الرحمن ٣، ٤]. فالأعجم هو الذي لا ينطق كالحيوان سواء أكرمته أو أهنته ، ليس له قدرة على الإبانة ، وهذا الكلام الذي امتن الله به على العبد يمكن أن يرتقي به الإنسان إلى أعلى الدرجات ، ويمكن أن ينحط به إلى أسفل الدرجات، ولهذا فانظر كيف بين الله تعالى على لسان رسوله ﷺ بعض وظائف اللسان المشروعة بقوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء: ٥٣]. أي يتكلموا مع الناس بالكلام الحسن الفاضل ، من الدعوة إلى الله ومن الثناء على المحسن بإحسانه ، ومن ذم المسيء بإساءته وغير ذلك مما هو مشروع ، كما نهى سبحانه وتعالى عن الكلام الفاحش والكلام البذيء الذي يجر صاحبه إلى عقوبة الله وسخطه وإلى نار جهنم وبئس المصير .

وعليه فإن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير ، قال معاذ بن

جبل رضي الله عنه : قلت يا رسول الله :وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم** - أو قال - : **على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** » ،وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت** »، وقال أيضاً : «**من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة** وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله : ما النجاة؟ ، قال: **امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**» .

ولا ينجوا من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه،فإن اللسان مع صغر حجمه يتناول كل شيء ،الحق والباطل، الطاعة والمعصية، الكفر والإيمان ، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور : ٢٤] . وقوله أيضاً : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [ق :١٨] .

وتذكر يا أخي المسلم أن في اللسان آفتان عظيمتان: آفة السكوت وآفة الكلام ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاصٍ لله والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله ولرسوله ﷺ ، ومن آفات اللسان الكلام في ما لا يعني والخوض في الباطل ، واللعن آفة خطيرة كما قال النبي ﷺ : «**لعن المؤمن كقتله**» وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» ، وقد نهى النبي ﷺ حتى عن لعن الحيوان ، ورد ذلك في أحد المغازي حيث كان هناك رجل معه بعير ، فتلوم عليه وأبطأ به ، فكان يضربه وهو يقول له: شأ ، لعنك الله ، فقال له النبي ﷺ : «**لا يصحبن بعير ملعون**» ، وفي رواية : «**لا تصحبن ناقة ملعونة**» فقال الراوي: كنت أراها تمشي منفردة عن الناس ولا تمشي برفقة الإبل مع الركاب ، لأن النبي ﷺ أراد أن يؤدب هذا الرجل ويؤدب بعيره .

وهناك آفة أخرى من آفات اللسان وهي الغيبة،ولقد عرفها النبي ﷺ بقوله :

«أتدرون ما الغيبة ، قالوا الله ورسوله أعلم، قال : هي ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» ،والغيبة من القبائح الاجتماعية وهي محرمة بالإجماع ومن كبائر الذنوب ، وقد شبه القرآن الكريم الذي يغتاب أخيه المسلم كمن يأكل لحمه ميتاً فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

ولهذا فإن كل إنسان فيه من العيوب التي قد تكون أكبر من عيوب غيره، والأولى للعبد أن يشتغل بعيوب نفسه ، عن عيوب الآخرين ، فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، حتى يفضحه في جوف بيته» ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً ، فيقول: يا رب أين حسنات كذا وكذا ، عملتها ليست في صحيفتي ، فيقول له: محيت عنك باغتيابك الناس » ، ولما بلغ الحسن البصري أن رجلاً اغتابه أرسل إليه طبقاً من الرطب وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك ـ أي اغتابه ـ فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام .

وكذلك من آفات اللسان: آفة النميمة وهي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد وزرع الفتنة ، وهذا النّمام من الذين يسعون في الأرض فساداً ويحاربون الله ورسوله، فقلبه خبيث ولسانه حلو الحديث وطالعه مشئوم وعمله مما يعجز عنه الشياطين، لا يعيش إلاّ في الماء العكر، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [البقرة : ٢٠٤ – ٢٠٥] وقد مرّ النبي ﷺ بقبرين جديدين ، فقال: « إنهما ليعذبان

وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بين الناس في النميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول » . والمؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا مغتاب ولا كذاب ولا نمام ، فمن لوث فاه بالكذب والغيبة والنميمة والسباب ، فقد أكل لحوم الناس وولغ في أعراضهم .

فآه ، ثم آه ، على الأمهات والبنات والأخوات والزوجات من ألسنة السفهاء الماكرين المتساهلين بقول الله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)** ﴾ [النور:٢٣] . وقال ﷺ : «**الربا اثنان وسبعون باباً ، أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه** » ومن المؤسف جداً أن أكثر المتخلقين بهذه الصفات السيئة هم من المسلمين في هذا الزمان ، وسبب ذلك هو أن المسلمين قد نسوا ، وتناسوا قول الله تعالى ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

إذن أيها المسلمون: إن حصائد الألسن أنواع كثيرة ، منها ما يوصل إلى الكفر ومنها دون ذلك ، فالاستهزاء بالله ودينه وكتابه ورسله وآياته وعباده الصالحين ، كل هذا كفر بالله يخرج الإنسان عن الملة والإيمان .

وكذلك من بذاءة اللسان: الكذب والغيبة والنميمة واللعن كما جاء في الحديث«**إن الله ليبغض الفاحش البذيء**»وهناك من الناس وخاصة الشعراء والأدباء من استخدم لسانه في معصية الله فكان ذلك سبباً موصلاً إلى نار جهنم وبئس المصير. ها هو امرئ القيس حامل لواء الشعر إلى النار، استخدم لسانه في محارم الله فكان عليه وبالاً وخسراناً ،وهذا القروي أحد الشعراء اللبنانيون المنحرفون :نزل في دمشق فحملوه على الأكتاف وصفقوا له ، فقال بلسانه الخبيثة القذرة :

هبوا لي ديناً يجعل العرب أمة ... وسيرو بجثماني على دين برهم

يا مرحباً كفراً يوحد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأهانه، فمات في حمام وما علم به أهله إلا بعد أيام ، وقد أصبح جيفة قذرة ، ليعلمه الله أنه الواحد القهار ، وهذا إيليا أبو ماضي الشاعر الفاسد صاحب اللسان البذيء : أخذه الله أخذ القادرين ، فمات في أسوأ حال .

وفي المقابل أولئك الشعراء والأدباء الذين خدموا هذا الدين بكلماتهم الصادقة ، من بينهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ : كان يمدح الدعوة ويذب عن الرسول ﷺ فنال بذلك الجنة ، وهذا عبد الله ابن رواحه قائد الشعراء إلى الجنة ، لأنه حفظ الله في لسانه وهو القائل في مدح الرسول ﷺ :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وفي معركة مؤتة ترك زوجته وأطفاله وما التفت إلى رجل سوى رسول الله ﷺ ،فلما أتت ساعة الصفر نزل إلى المعركة وخلع درعه وأخذ سوطه وهو يقول :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وطعنة ذات فرغ تقذف الزبدا
حتى يقال إذا مروا على قبر يا أرشد الله من غاز ومن رشدا

فقتل هناك ابن رواحة وذهبت روحه إلى الجنة بإذن الله ، فكان الصحابة إذا مروا على قبره يسلمون عليه ، ثم يقولون: يا أرشد الله من غاز وقد رشدا .

خاتمة :

إذن أيها المسلمون إن هذا اللسان أمره عجيب، فكثير من السيئات والذنوب والمعاصي من الالسن ، فلا إله إلا الله كم هتك من عرض ولا إله إلا الله كم أوقع في معصية ، ولا إله إلا الله كم لطخ من سمعه وكم هدم من بيت ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : « **ألا أخبرك بملاك ذلك كله** ، قال: بلى يا رسول الله، **فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا** » ، والله سبحانه يقول في مدح أولياءه الصالحين

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣]. والعجيب أن الإنسان يحرص كثيراً على حفظ جوارحه ويشعر بمرارة الذنب الذي ارتكبه بهذه الجوارح، ما عدا اللسان ، قلّما يحترس من خطره ، فكم نطق اللسان في المعاصي وكم سجل الملكان من الكلام السيئ القبيح ، وكم من كلمة قالها صاحبها مستخفاً بها وقد هوت به في نار جهنم سبعين خريفاً ، وكم من كلمة فيها خير قالها صاحبها لا يلقي لها بالاً يكتب الله له بها رضوانه الأبدي . ولهذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي ويخرج لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : والله ما شيء أحق بطول الحبس من اللسان ، ويقول الشاعر :

احذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من صريع لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ولكن كثير من الناس اليوم بسبب الفراغ الذي يعيشونه قد سخروا هذه النعمة العظيمة ، نعمة اللسان التي بها يدخل الإنسان الجنة أو يدخل النار ، كما جاء في الحديث إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء والجوارح كلها تذكر اللسان وتقول: يا لسان اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا .

فإذا وفق الإنسان إلى الخير وفق الله لسانه إلى النطق بالكلام الحسن ، من ذكر وشكر ودعاء وإصلاح بين الناس ، فإن الأعضاء كلها حينئذ تكون مستقيمة بعيدة عن الانحراف، وإذا كان اللسان عكس ذلك منشغلاً فيما لا يرضي الله ، فإن الأعضاء والجوارح كلها تتصرف ايضاً إلى ما يسخط الله تعالى ولا يرضيه. وكثر من الناس اليوم مع الأسف الشديد شغلوا ألسنتهم في ما لا يرضي الله تعالى، فمن الرجال مثلاً من يشغل لسانه بالكلام البذيء الفاحش الذي ليس فيها خير ولا بر ، بل قد يكون فيه إثم أو قطيعة رحم أو فيه سخرية من الخير وأهله أو

استهزاء بالناس أو انتقاص لهم أو شتم أو لعن أو صد عن ذكر الله وعن الصلاة ، أو غير ذلك مما يورد الإنسان المهالك .

وكثير من النساء أيضاً من شغلت لسانها في فضول الكلام ، ولهذا دائماً تتحدث عن احتمالات الأسباب والظنون والتخميلات والتوقعات والحدس والظن وربما تلجأ إلى الكذب لأنها تزين به قولها، وتجعل من الظن يقيناً ومن الإحتمال كلاماً أكيداً ، وينقل عنها أن فلانة قالت كذا وكذا ، وهذا مما نهى الله تعالى عنه كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال :« **إن الله تعالى يكره لكم ثلاثاً، قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » ، وما أعظم الفرق والبون الشاسع بين إنسان يقول لا إله إلا الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملئ السماء وملئ الأرض وملئ ما شئت ، فلا يدري الملك كيف يكتب هذا الحمد ، فيصعد إلى ربه ويقول: يا رب قال كلمة لا أدري كيف أكتبها فيقول الله تعالىَ له: اكتبها كما قالها حتى يلقاني بها ، لأنها كلمة عظيمة ، فهذا فرق بين إنسان يقول مثل هذه الكلمات الهينة السهلة فيرفعه الله بها إلى أعلى منازل الجنة ، وبين آخر يقول كلاماً بذيئاً إما فحشاً أو شتماً أو تكلماً في أعراض الناس أو تدخلاً في خصوصيات الآخرين وأمورهم العائلية ، وهم لا يأذنون أصلاً لأحد أن يتكلم في أعراضهم ، فكيف غفل الإنسان على أن هناك ملائكة كراماً كاتبين وأن هناك صحائف تنشر يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩)** ﴾ [الكهف : ٤٩] .

إذن الجوارح كلها سوف تنطق ، فإذا كان يوم القيامة قال الإنسان ، يا رب ما قلت كذا وكذا وما عملت كذا ، فتأتي الملائكة وتشهد عليه بما قال ، فينكر ويقول :لا أقبل شهادة الملائكة ولا أقبل شهيداً إلا من نفسي،فيقول الله عز وجل :

﴿ **كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء١٤]. وبالملائكة الكرام الكاتبين شهوداً ، ثم يختم الله على فمه ويأذن لجوارحه فتنطق ، فتتكلم اليد بما بطشت ، وتتكلم الرجل بما مشت ، وتتكلم الأذن بما سمعت ، وتتكلم العين بما رأت ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه وجوارحه : سُحقاً وبُعداً فعنك أجادل وعنك كنت أناضل،وكان النبيﷺ إذ ذكر هذا الحديث تبسم وضحك ، فقالوا يا رسول الله : مما تضحك ، قال : « **أضحك من مجادلة العبد ربه ، يقول : لا أقبل عليّ شهيداً إلا من نفسي** » .